احتفالية اينايـر بالجزائر طقوس ودلالات

The festivity of January in Algeria, rituals and connotations

عباس رضوان، بن معمر بوخضرة

المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، الجزائر، جامعة تلمسان

abbasreda13@gmail.com

boukhdra13@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2023-04-04 **تاريخ القبول**: 2023-06-15 **تاريخ النشر**: 2023-06-16

ملخص: كانت الاحتفالات الفلاحين كانت في بلاد المغرب العربي، حيث أقيمت بمناسبة التقلب الشمسي الذي يحكمه التقويم اليولياني وليس التقويم القمري، حيث اشار العلماء الى ان شعوب شمال افريقيا استمرت في اتباع التقويم الشمسي وظلت تحافظ عليه، ومن بين اقدم الاعياد الشمسية والتي بقيت مستمرة عندهم هي اناير الذي أخذ اسمه من يانوس (الأنوار) ، الإله وحارس الأبواب ، الذي أعطى اسمه. لشهر يناير وهو الأول شهر السنة ، اين تتجلى فيه طقوس من أنواع زراعية بشكل أساسي التي تؤكد على علاقة الرمز بالنباتات. بمعنى آخر ، تجديد القوى الموجودة في الطبيعة ، ذلك تكريسًا لتغيرات الدورات والاحتفال برأس السنة الزراعية الجديدة.

الكلمات الدالة: اينايـر، عيد العنصرة، الدلالة، الرمز، الاحتفال

Abstract :

The peasant celebrations were in the countries of the Maghreb, where they took place on the occasion of the solar volatility that is governed by the Julian calendar and not the lunar calendar, as scholars indicated that the peoples of North Africa continued to follow the solar calendar and kept it, and among the oldest solar holidays that remained continuous with them are the lights who took his name from Janus (the lights), the deity and guardian of the doors, to whom he gave his name. For the month of January, which is the first month of the year, where rituals of mainly agricultural types are evident that emphasize the symbol's relationship with plants. In other words, the renewal of the forces present in nature, in honor of the changes of the cycles and the celebration of the agricultural New Year. Keywords: Anair, Pentecost, significance, symbol, celebration

المؤلف المرسل: عباس رضوان، abbasreda13@gmail.com

احتفالية ايناير بالجزائر طقوس ودلالات

1- مقدمة:

يعبر موضوع "يناير" عن محطة تاريخية، واجتماعية، واقتصادية ،وحضارية، وسياسية، وثقافية، ولسانية، ونفسية، ارتبطت بحياة الإنسان الأمازيغي ارتباطا عضويا منذ مئات السنين، كونه احتفالية مهمة وأساسية من تاريخ المنطقة، ومن ثقافتها ،ومن هويتها، ومن ذاكرتها. ولعل أهم يشغل اهتمامنا في هذا الموضوع البحثي الاكاديمي هو الاجابة عن الاسئلة التالية: ما معنى التقويم اليوليوسي ؟ وكيف كان يحتفل سكان شمال افريقيا بـ: ايناير وما معنى العنصرة ودلالتها؟ وفق قواعد معرفية ومنهجية سليمة من اجل التكفل به تكفلا علميا بعيدا عن الأطروحات الاثنية والعرقية، والجهوية الضيقة، والخطابات الديماغوجية الفاقدة للروح العلمية والموضوعية.

منذ البداية، نعلن أن المقاربة الإثنوغرافية لموضوع "يناير" تمر عبر عدد من الطقوس، والرموز، والممارسات في جانبها التاريخي، والثقافي ،والاجتماعي، والاقتصادي، المرتبطة ارتباطا عضويا بالإنسان الأمازيغي في علاقته بالأرض، والزراعة ، وبالفلاحة. حيث يهدف هذا العمل الى الحديث عن نوع من الاحتفالات التي كانت رائجة في بلاد المغرب والتي كانت تقام بمناسبة المتقلب الشمسي والاحتفالات الفلاحية التي يحكمها التقويم اليوليوسي لا التقويم القمري أين لاحظ الدارسون أن سكان شمال افريقيا استمروا على اتباع التقويم الشمسي وظلوا يحافظون عليه، ومن بين أقدم الأعياد الشمسية والتي بقيت مستمرة عندهم هي اناير والعنصرة.

التقويم السنوي الفلاحي:

يذكر لنا ايميل مسكراي ان اعياد الميلاد يحتفل بها كذلك سكان الاوراس وتعرف لديهم باسم "بويني" ثمانية ايام قبل اناير وربما كان هذا الاسم مشتقا من الاسم اللاتينيBonus anus ، واما مرسيي فيذهب الى ان بويني معناها عيد الوتد لانهم في تللك المناسبة يغيرون جميع العصي التي يعلقون عليها الاواني المنزلية ويقول أن هذا الاحتفال يتزامن مع اناير (دوتي إدموند ، 2011، ص376) . أي أن السنة كان مبدؤها في الماضي بالمنقلب السنوي وان الاحتفالات قد وقعت مرتين ، ولما كانت السنة

الميلادية في الماضي تبتدئ في الاول من مارس فان من الممكن ان تكون الاحتفالات التي ترافقها قد اختلطت على الناس بالاحتفالات بالمنقلب السنوي عندما صارت تقع في قريب منها. في العادة يكون طعامهم في شمال افريقيا في يوم العنصرة: الكسكس بسبع خضاري ، وفي مراكش يداومون على اكله ثلاث ايام ويدخل في سبع خضاري اللفت، الجزر، الفول، الحمص، القمح، الزبيب، التمر. فيطبخونها مع الكسكس وتكون عشية اناير اي يوم 32/31/ ديسمبر في جميع الاماكن كأنها يوم للحداد، ويتفرد هذا اليوم بخاصية وهي أن الناس لا يطبخون فيه شيئا يلزم فيه عدم استعمال الكسكاس، ومن عادتهم في الجزائر ان يقولوا "ما نقفلوشي" اي انهم لا يحكمون وضع الكسكاس فوق الطنجرة، بل انهم في كثير من المناطق لا يُطعمون في هذا اليوم غير الاشياء الجافة من "مكسرات وفواكه جافة" وكذا من قمح وفول وحمص يطبخونها في الماء وشيء من العسل (دوتي إدموند ، 2011، ص377)، وكذلك يقومون بتحضير أكلة البركوكس، ولكنهم يجعلون اليوم الذي بعده أي الاول من يناير يوم الافراح والمباهج فهم يُطعمون الكسكس ذي السبعة خضاري والزبدة والعسل والسفنج وغيرها من الاطباق الشهية واذا التقوا ببعضهم تبادلوا الامنيات بان تكون سنتهم سنة سعيدة وهي عادة قد درجوا عليها عند استهلال السنة الهجرية في يوم عاشوراء. وهناك اعتقاد لافت للانتباه وشديد الشيوع وهو انه في يناير يحدث دائما ان ينكسر او ينقطع في كل بيت مهما كان رهيفا كصحن او ثياب او عصا ....ولو كان مجرد خيط او قطعة قماش وقد جرت العادة على ان يقوم الناس بتنظيف بيوتهم بالكامل ويجددوا بعض اثاث المطبخ، اذن:

_1**التقويم اليوليوسي**: هو تقويم يتأخر عن تقويمنا " الميلادي" بثلاثة عشر يوما " التقويم الرومي أو اليولياني بالإنجليزية (Julian Calendar):هو تقويم فرضه يوليوس قيصر في سنة 46 ق م ودخل حيّز التنفيذ سنة 45 ق م يحاول التقويم اليولياني محاكاة السنة الشمسية ويتكون من 365,25 يوماً مقسمة على 12 شهرا ،.استمر استخدام التقويم اليولياني في الكنائس الأورثوذكسية حتى القرن العشرين إذ قامت هذه الكنائس باعتماد التقويم اليولياني المعدّل سنة 1923، ولا يزال هذا التقويم مستخدمًا في أديرة جبل آثوس.منذ القرن السادس عشر استعيض عن التقويم اليولياني (لعدم دقته) بالتقويم الغريغوري. الفرق بين

التقويمين أن التقويم اليولياني يعد السنة 365,25 يوماً أما التقويم الغريغوري فهو أدق ويعد السنة 365,2425 يوماً، وهذا الفرق يشكل مقدار 0.002%. ، منذ عام 1900 وحتى عام 2099 ينشأ بين التقويمين فارقاً قدره 13 يوماً، يتأخر بها التقويم اليولياني عن التقويم الغريغوري. أي عندما يكون 7 يناير طبقاً للتقويم الغريغوري (التقويم الميلادي الساري حالياً)، يكون بالنسبة إلى التقويم اليولياني 25 ديسمبر.

_2 المعتقد في طقوس اناير :

فبما نفسر اذن هذه المعتقدات وهذه الطقوس؟ اغلب الظن انها تدخل في احتفال قديم بالمنقلب السنوي وان في العادة الشائعة على اشعال النار " الشعالة" في ليلة رأس السنة والشبيهة بالنيران التي توقد في الاحتفالات بعيد القديس يوحنا وهما طقسان يريدون بهما بمعنى من المعاني ان يساعدوا الشمس على ان تعود لاستئناف حركتها بعد الغروب في هذه العادة برهان واضح على هذه الحقيقة وان ثبت ان طقوس اينابر على صلة بالانقلاب السنوي فلربما ذهبا الى الاعتقاد ان طقوس الحداد التي تطبع اليوم الاول تكون دلالة على الحزن (دوتي إدموند ، 2011 ، ص378)الذي يرافق الانحدار الشديد الذي تصير اليه الشمس وان المباهج التي تكون بعد ذلك دلالة على الفرحة بعودتها لاستئناف رحلة الصعود. لذا يمكن القول ان إيناير نسب الى الاحتفالات التي كانت تقوم بمناسبة تجديد النيران او اضرامها من جديد وقد كان لها شيوع عند اقوام كثيرين من البدائيين .

_3 اعتقاد سكان شمال افريقيا بالعنصرة

العنصرة عند المسلمين تكون يوم 24 جوان مثلما مولد عيسى يكون 24 ديسمبر من السنة اليوليوسية. تنتشر هذه الاحتفالات بالمنقلب السنوي وكذلك وبوجه خاص عند الاقوام البدائيين اعتقادا منا انهم كانوا يقومون بهذه الاحتفالات قصد تطهير الهواء من التأثيرات السيئة والارواح الشريرة وطردها كما كانوا يقفزون فوق النيران بغاية التطهير من الارواح الشريرة التي يمكن ان تعلق بسطح الجسم ثم يدفعون الدخان حول جوانب النباتات لكي يمدوها بالقوة وذلك النشاط الكامنين في تلك النيران

السحرية، ويمكن ان ينقلوا تلك القوة وذلك النشاط الى الاطفال بحك اجسادهم برماد تلك النيران، لان الدخان يعتبر ناقل ناجع حسب معتقدات البدائيين لفضائل الشيء المنبعث منه حين الاحتراق ولذلك نرى ان اهل سكان الجزائر يحرقون التمائم التي يكتبها لهم الطُلبة وستنشقون دخانها لأنها معدودة عندهم من العلاجات الفعالة (دوتي إدموند، 2011، ص381). وكذلك كانوا يقومون بإشعال النار وتحضر عليها طبق البركوكس، وبعد الانتهاء من التحضير وتصبح النار رماد يقمون بوضع الرماد على جباه الاطفال وكذا تقديم الطعام الى النصب " وهي الحجارة التي توضع فوقها القدر.

_4 العنصرة طقوس ورموز :

اما سكان شمال افريقيا فلهم طقوس وممارسات خاصة بهذا اليوم:

4_1رمزية الدخان في هذا اليوم: يقوم الفلاح مع أهله في هذا اليوم بأخذ قمحا قد درسه في ذللك اليوم ويطبخه في الماء ويجعل معه الشحم ويضيف اليه ملحا ثم يحمله الى ساحة الدرس ويشعل نارا ويجعل وقودها من روث الغنم لأنه كثير الدخان ثم يرش كومة القمح بالماء وبعد ذلك يشرع الجميع بتناول القمح الذي جرى اعداده ويؤثر اهل سكان شمال افريقيا ان يوقدوا النار على مقربة من الحقول والبساتين بحيث يصل الدخان الى اوراق النبتات والذي يبدو ان في دكالة يكون الشرفاء هم خاصة من يوقدون تللك النار ثم يجعلون شيئا من الرماد المتخلف عنها على جباه الاطفال ما اكثر ما تسمعهم يقولون لأصحاب البساتين تكون ثماره ضعيفة "على خاطر ما عنصر توشي" اي انكم لم توقدوا فيها نار العنصرة (دوتي إدموند ، 2011، ص379)

4_2 العنصرة والخصوبة " المرأة"

ترى اهل سكان شمال افريقيا يرددون مثلا اخر يقول : العام يبان من الخريفة والعنصرة تسبق" ومعناه ان السنة الفلاحية تلوح علاماتها من الخريف الذي يسبقها ومن العنصر من تأتي قبل الخريف ويقال هذا المثل في ان خواتم الامور تعرف من بدايتها" ومن امثلتها ان الخطبة التي يكون مبتدؤها بالجدالات تكون علامة فشل الزواج بعدها، ولايزالون على اعتقاد انه اذا كان يوم العنصرة يوما غائما فهو دليل على

ان الموسم الفلاحي الذي بعد سيكون جيدا ولطقوس النار صلة وثيقة بطقوس الماء، اما في مراكش فلا تراهم يضرمون النار حين العنصرة بل يقذفون بعضهم بالماء داخل البيوت وفي الشوارع بمليء السطول حتي يغمر الماء ثيابهم كلها كما وانهم يرمون بالماء على المساجد والاضرحة حسب باصي- يشمل الاحتفال حتى مقابر الأولياء الشّعبيّين، والأشخاص لا مرئيّين، فالاحتفال الأساسي هو الّذي يهمّ ينّاير، وهو مهم بالنّسبة للسّنة كلّها، وهناك احتفال خاصّ بالعنصرة أو عيد الماء، واحتفال عاشورا، وتشترك كلّها في حياة النّبات أو موته، وهذه الاحتفالات تختلط فيها عدّة ديانات قديمة مرّت على شمال إفريقيا فينيقيّة وإغريقيّة ورومانيّة وأمازيغيّة وإسلاميّة (باصي روني، 2012، ص68). ولهذا تراهم يغطسون اشخاصا في " السقايات" وموارد الماء ويتعطل الجميع في ذلك اليوم عن العمل.

_5 طقوس اينايرر:

1 _5 طقوس طلب المطر:

يذكر روني باصي أنّ بعض المغارات والكهوف كانت مخصّصة لذلك، ففي الكناري –باعتبارها جزءا من ثقافة شمال إفريقيا- كانت هناك مغارة الأستيهطيقا مخصّصة للخلوة خلال فترات الجفاف، لمن يذهب اليها لكي يتضرّع للإله، حين يظهر له يمنحه خنزيرا يقدّمه لقومه دليلا على قبول صلواته، على أنّ الكثير من الممارسات الطّقوسيّة جاءت من الشّرق عن طريق الفينيقيّين اي انها تلك الطّقوس المتوارثة في شمال إفريقيا اي طقوس طلب المطر ، الّتي لاحظ بعض الباحثين الأركيولوجيّين أنّها قديمة جدّا، وكذلك طّقوس تقديس ظاهرة الطّيف، وكذا ظاهرة قوس قزح؛ في واد ريغ تسمّى أبشّي abechchi ، وفي هراكطا أبْقّاس abggas حزام، وعند زواوة ثيسليث ب ونزار thislith b ouanzar ، وعند آيت بوتعيو بأرزو ثيسريث ن ونزارthisrith n wanzar ، وفي آيت يزناسن ثاسليت نونزيرthaslit nounzir ، ومعناها عروسة المطر، وعند بني مناصر ثاسليث ن أوجنّا thaslith n oujenna (باصي روني، 2012، ص37)

يحمل الماء رمزية هامة في طقوس سكان شمال افريقيا تجدهم يتراشقون بالماء ويسمون ذلك الطقس

"حليلو" ، و أنهم في عيد عاشوراء و عيد المولد النبوي الشريف يأخذون منذ مطلع النهار يتراشقون بالماء إلى أن تبتل ثيابهم .ثم إن هذه العادة في رش الماء تشتهر في أنحاء المعمورة بكونها طقسا سحريا لطلب المطر، فالجفاف إذا استطال و اشتدت وطأته احتشدت نساء الدوار و الاطفال و يأخذون مغرفة "تاغنجة" تُختار ملعقة من خشب آغونجا agheundja يتمّ إلباسها بالخرق بحيث تصير تشبه شكل الدّمية، تمثّل خطيبة أو عروسة، تسمّى غونجا (باصي روني، 2012، ص50)، و شدوا اليها قصبة طويلة و شدوا إلى القصبة قصبة أخرى صغيرة ، و يفرغون عليها من أجمل الالبسة النسائية التي يجدونها في الدوار، و يكون فيها قفطان الحرير و سبنية الحرير...إلخ، ثم يجعلون يطوفون بها بالحقول و تسير ترافقها النساء و الاطفال و هم يرمونها بالماء و يرشون بعضهم بعضا و يرددون، و يطوفون بها على مقابر الأولياء المحلّيّين، مع غناء مقاطع تتنوّع حسب المناطق، كما في ما يلي:

غونجا غونجا كشفت راسها؛

يا ربي ستبلّل أقراط أذنيها؛

السّنبلة عطشت؛

امنحها تشرب يا سيدنا.

أمّا في تيط بتوات، فيفعلون نفس الشّيء ويخرج الجميع رجالا ونساء وأطفالا، بينما تحمل الملعقة –الّتي كُسيت بملابس نسائيّة– فتاة شابّة وهم يردّدون:

أغونجا، إميرجا (يا ملعقة، يا مراعي)

ربي فوّت وقت الحرّ

يا ربي باسم النّبيّ (باصي روني، 2012، ص49)

أما في عين الصفراء، وأثناء احتفالهم بهذا الطقس يسير الموكب الذي تحمل فيه هذه الملعقة تنشد العديد من الأغاني منها ما يتغنى فيها بالغنجة نفسها حيث يقال في عين الصفراء مثلا :

غنجة غنجة حلت راسها

ياربي تبل خراصها.(Bel . A 1905, p64.)

وارتبطت الكثير من هذه الطّقوس بالسّنة الفلاحيّة. كما لا يتم الاحتفال بها في المساجد لكن قرب المقابر الاولياء الشعبيين وتتوجه لأشكال لا مرئية وليس لأشخاص مقدسين، الاحتفال الاساسي هو الذي يهم يناير (باصي روني، 2012، ص68)

2 _5 دمية تاغنجة ورمزيتها:

لعبت الدمية دورا كبير ا في احتفاليات بطقوس المطر في منطقة شمال افريقيا، كما عرفت انتشارا واسعا حسب دوتي في اوروبا بقدر انتشاره في المشرق ، يتمثل تغطيس تماثيل القديسين أو ما يدخل مدخلها من الصور المقدسة في الماء مثلما كان يقوم القرويون في اوروبا بتغطيس تمثال مريم العذراء في الماء، و كان الرومان يلقون في كل سنة بدمية في وادي تايبر،... وكان البدائيون كثيرا ما يصنعون دمتهم من المغارف، اما في يومنا هذا فمن الواضح أنه صارت لهذه الدمية دلالة سحرية خاصية تستمد ها من وظيفتها المألوفة ، ثم إن هذه الدمية التي جرى تهذيبها كانت تتخذ بديلا عن شخص حي على نحو يتراءى لنا من بعض العادات كمثل ما هي العادة التي كانت عند المصريين إذا رغبوا في التعجيل بفيضان النيل فيلقون فيها بعذراء مكمولة الزينة، و قد اصبحوا يمثلون لهذا اليوم بعمود من الطين يسمونه "عروسا" أو خطيبة". أو كما يسميها هنري باصي بعروس المطر "أنزار"

2_1_5 تاغنجة رمز الخصوبة

أي عروسة السّماء، وفي العامية كذلك يقال له عروسة السماء، ويربطون به خرافات تسمّى عرس الذّيب. وأنزار anzar هو المطر، كائن مذكّر، وفي الطّقوس الممارسة للاستمطار يذهب أبناء جرجرة زمن الجفاف من منزل إلى منزل، وهم يغنّون:

أنزار، أنزار

يا ربّ أروينا إلى الجذور.

وفي الميزاب يغنّي الأطفال وهم يدوسون الحبوب:

أعطنا يا ربّ ماء أنزار

وفي ورقلة يشخّصونه بـ (أَمْزار). (باصي روني، 2012، ص49)

وبالتّالي فقوس قزح يرتبط بخطيبة للمطر، وهذه الطّقوس لها صلة بأغلب السّاكنة في شمال إفريقيا عربا وأمازيغا من عين الصّفرا وغيرها بالجنوب إلى تلمسان ومازونة وغيرها.

2_2 _5**تاغنجة رمز الماء:**

تاغنجة هي كلمة بربرية تعني الملعقة التي تستعمل في سكب المرق (المغرف)، وهو مصطلح يستعمل في معظم شمال أفريقيا للدلالة على طقوس جلب المطر بما في ذلك المناطق المعربة .Haddadou (M.A, , S.D p85)، أحيانا يتم إلباسها ثياب بشكل تبدو فيه كالدمية ولكن في كثير من الأحيان نجد إما الدمية أو الملعقة العارية وحدها، ففي منطقة الميلة التابعة لمقاطعة قسنطينة تلبس قندورة خضراء كما توضع أوشحة على هيئة الرأس في نهاية الطرف الأعلى من العصا، تقوم امرأة مسنة بحملها على رأس موكب من النساء يطوف بين البيوت لجمع المواد اللازمة لتحضير وجبة مشتركة تقام عند ضريح مرابط (G. H .Probst-Biraben, 1919,p 97- 98.)، وقد توضع ملعقتان مكان الذراعين تستقبلان رمزيا ماء المطر المتساقط.(Haddadou. M.A, , S.D p65)

تكمن رمزية هذه الاخيرة في أنها تستعمل لسكب السائل(Bel . A, 1905, p86) ، فمياه الأمطار تحاكي في سقوطها السوائل التي تسكب بواسطة الملعقة ,G. H .Probst-Biraben (1919,p98)، من جهة أخرى ترمز الملعقة المعدة في هيئة الدمية إلى الزوجة الولودة، ويتعزز رمز الخصوبة والولادة هذا أكثر بحضور النساء في الطقس(Gélard Marie-Luce, 2006, pp 93-96.) ، وبالتالي فاستعمال الملعقة يعكس اندماج اثنين من الرموز يتعلق أحدهما باستقبال وسكب الماء وما ينجر عن هذا الماء من الخصوبة التي يعكسها رمز الدمية العروس والمرأة الولودة .

3 _5 رمزية طعام اينايير

إن اختيار الاطعمة في هذا العيد ليس قبيل الصدفة وإنما يخضع ذلك إلى الطابع الرمزي لهذه الطعام، مأكل اللحم في هذه المناسبة فعل طقوسي يرتبط ارتباطا وثيقا بإعادة إنتاج الرابط الاجتماعي بين اهل المنطقة، لذلك فحيث ما وجد احتفال جماعي يضم الجماعة بأكملها أو البعض من أعضائها، هناك وجبة تحتوى على اللحم(Benkheira Mohammed, 1999 p 90.) ، ويقول إدموند دوتي: "وفي كل الأحوال فقد رأينا أن كل قربان يهدف إلى التواصل بين الدنيوي والمقدس وبين المؤمن وربه، فهو من ثمة كان دائما ذا طابع جماعي توحيدي، وإذا كان هو تم من قبل مجموعة فثمة توحد بين كل فرد وخالقه ومن ثم بين الأفراد كلهم بما أنهم يتناولون اللحم نفسه، بل إن فعل أكل اللحم نفسه وتبعا لقواعد السحر يخلق علاقة تعاطفية بين الضيوف على الوليمة" (دوتي إدموند:.ت.ن.، ص 329).

الكسكس طعام مقدس يستمد قدسيته من الحبوب التي تم اعدادها اساسا في هذا العيد، وهذا النوع من الاطعمة يعتمده سكان شمال افريقيا في كل احتفالاتهم والطقوس المرتبطة بها، ففي تلمسان وبعد أن يفرغ من تناول الطعام ينثر الكسكس المتبقى على التراب حتى تأخذ منه الطيور نصيبها، وقد تكون روح المرابط وأحيانا روح القمح أو المحصول، وفي عين الصفراء وقبل أن يغادر الجمع يأخذ كل واحد حفنة من الكسكس معه ويقوم بنثرها في حقله.(Bel . A : 1905, p89)

كما أن حساء الشعير المعد في هذا اليوم، يحضر عادة للمرأة التي ولدت حديثا فهو بذلك رمز للولادة وللخصوبة التي تتعزز أكثر بإعداد النساء المسنات للوجبة عامة ,Gélard Marie-Luce, 2006) (96-93 p، إضافة إلى ما قد يرمز إليه البيض والحليب والزبدة والتين والخبز وهو ما سبقت الإشارة إليه، ثم إن تناول الطعام بطريقة جماعية رمز للمشاركة والاتحاد و لا يتوقف على حاجة استهلاكية فقط (Valensi Lucette, 1975, p604) ، ذلك أن " تقاسم الطعام يعتبر من بين الوسائل الناجعة للحفاظ على التحام الجماعة" (عبد الرحيم العطري2014، ص 161)، كما أسماه إدموند دوتي بطقس الخروج، والذي يتمثل في كسر الأواني التي تم فيها إعداد وجبة ذلك أن "الطابع المقدس لتلك الصحون لا

يسمح لها بالعودة إلى العالم الدنيوي" (دوتي إدموند:.ت.ن.، ص 328)، كما أن" هناك طقوسا للتقديس تعمل على إدخال الكائنات والأشياء إلى عالم المقدس، فضلا عن طقوس إبطال التقديس التي نخرج الكائنات والأشياء إلى العالم الدنيوي" (عبد الرحيم العطري2014، ص 22)

_6 اللون الأسود ورمزيته الطقوسية :

و في الغالب نجد ان سكان المغرب يقومون بولائم فردية وجماعية يذبحون فيها الذبائح واكثر ما تكون التضحية بذبيحة سوداء كون اللون الاسود في اعتقادهم له صلة بطلب المطار.

فاللون الأسود أثناء أداء طقوس استجلاب المطر هو الأضحية التي تذبح عند ضريح المرابط، أولا يتم اختيار أضحية أليفة ذلك أنها أكثر قدسية من باقي الحيوانات (دوتي إدموند:.ت.ن.، ص 326)، يجب أن تكون سوداء وهي بذلك رمز للسحب السوداء المحملة بالأمطار، حيث يقول إدموند دوتي:" في التضحية الطلبية قد يتم تطويع الأضحية للغاية المتوخاة، تبعا لمبادئ السحر التعاطفي: مثلا لطلب المطر يفضل أن تكون الأضحية سوداء لأن ذلك هو لون الغيوم التي تكون محملة بالماء" (دوتي إدموند:.ت.ن.، ص 325).إضافة إلى لون الأضحية الأسود قد يتعزز طقس السواد هذا برمز جديد وهو ذو لون أسود دائما، إنه الرماد، ففي بني شقران دائما وإن لم ينزل المطر بعد هذه الطقوس الأولى، يتنكر الرجال بعد أيام في الأسمال وملابس النساء، ويذهبون لزيارة أشهر المرابطين في المنطقة وهم يتراشقون بالرماد، وعند وصولهم إلى الضريح يرددون: " يا ربي النو"، وخلال سيرهم ذاك يرشون بالماء ويردون هم بإلقاء الرماد، بعد ذلك يعودون ويفترق الجمع.(Gélard Marie-Luce , 2006, pp 66-67)

ربما تختلف الأضاحي فقد تكون الأضحية عجلا، كبشا أو تيسا، إلا أن اختيارها يتم بعناية فائقة حيث يجب أن تكون سوداء تماما بدون أية بقع وفي الوقت نفسه يجب أن تكون بالغة، وهناك أمثلة كثيرة على هذا ففي بني شقران مثلا تقوم النساء بافتتاح الطقس أولا، حيث تطفن ليلا ببقرة سوداء وهن ترددن العبارات التالية:

يا البقرة الكحلة سيدة البقر

اطلب المولى يعطينا لمطر (Bel . A : 1905, p91)

_7 مكانة ورمزية النسب الأوليائي:

وبعد ذلك يختار شيوخ القرية شخصا يكون له نسب إلى الاولياء، ويؤثرون أن يكون من اولئك الاولياء الذي يتجولون في رث الثياب لا يخلو مكان منهم في هذه البلدان، فلم يميزوا فيهم بين مرتبة اجتماعية أو طائفة دينية ثم يجعلون يغطسونه في الماء و يمعنون في ذلك امعانا إلى أن يأخذ يصيح و يزعق في طلب الغوث ، و أما في مناطق اخرى فلا تراهم يتخذون وليا بل زنجيا أو زنجية ، يجعلون يغطسونه أو يغطسونها بكثير من التلطف فإذا انتهوا من تلك العملية كافأوه أو كافأوها بشيء من المال فهم يعتقدون في هذه الحالة على ان اللون الاسود الذي هو في التصورات البدائية لون السحب الماطرة سيجلب لهم لا محالة الامطار (دوتي إدموند:.ت.ن.، ص 386).

اما طقس الاستحمام بالماء له دلالتان : اولهما أن فيه تعذيبا للشخص الموقر على انه أخل بوظيفته فلم يجلب إلى الجماعة المنفعة التي كانت تنتظرها منه، و ثانيتهما أنه طقس سحري يتوسل فيه حسب ما نعتقد بالماء من حيث إنه جالب للماء بالضرورة و تراهم في طقس الدمية يجعلون تمثالا مكان الوالي، وفوق ذلك فان طقس التجوال في الحقول يمكن ان يكون على صلة بطقوس اخرى فلاحية وذلك من جهة لأن المناسبات الفلاحية ومثالها الحصاد تكاد تصاحبها كلها طقوس الاستسقاء واما من جهة أخرى فإننا نعرف أن الدمية التي يفرغ عليها من اللباس و يطاف بها في الحقول تدخل في طقس سحري يتوسل إلى زيادة قوة الروح الكامنة في الحب، و هذا طقس نجده في المغرب كما في الجزائر في بني خنوس بمنطقة الاوراس يطوفون في الحقول في أوان البذر قد حملوا شاشية و عصا و حذاء بزعم أنها كانت لجدهم و العادة نفسها نلاقيها كذلك عند قبائل الشلف. اما اذا ما ألم بهم من جفاف يذكر ايدموند دوتي أنه لاحظ عند سكان سجرارة بالجزائر ما يسمي "ب: وعدة الكور" (دوتي إدموند:.ت.ن.، ص 387) وهي وليمة يقيمونها لاحد الاولياء ويصلون خلالها طلبا للأمطار ثم يلبثون الى جوار الولي وما أن ينزل

المطر حتى يأخذون يصنعون كرات صغيرة من الوحل يقذفون بعضهم البعض وهم يفعلون ذلك طمعا في استرسال الامطار.

_8 طقوس ورمزية للعب بالكور :

تدخل لعبة الكور ضمن طقوس استجلاب المطر، وتمارس في عدة مناسبات كاحتفال الربيع ومباشرة عمليات الحرث، وبذلك تتوافق أوقات ممارستها مع الأوقات المخصصة لممارسة هذه الطقوس، ففي منطقة الأوراس مثلا تخرج النساء والأطفال منذ الصباح إلى الحقول للاحتفال بالربيع، حيث تجمعن الأزهار والأعشاب الخضراء وبعد تناول وجبة، تذهب النساء للعب بالكرة (Masqueray. E 1880, p37)، وهناك لعبة خريفية أخرى تسبق عمليات الحرث هي "الجمعة "، وهي لعبة تشبه تقريبا لعبة الكرة، حيث ينقسم اللاعبون بشكل متساوي أيضا إلى فريقين شرقي وغربي، يشكل كل فريق ثلاث كومات تتكون كل واحدة منها من ثلاثة أحجار، ثم يعد كل لاعب ثلاث أحجار صغيرة للرمي، وكل كومة تتهدم تسمح برمي حجر آخر إضافي، والفريق الذي يستطيع إسقاط كوماته الثلاث أولا هو الفريق الرابح، وفي بعض المناطق تبقى أكوام الحجارة نفسها مع استبدال حصاة الرمي بطلقة بندقية (J.Servier, 1951, p179)، فاحتفال الربيع في أساسه رمز للانبعاث وإعادة إحياء الأرض (Gaudry Mathéa, 1998, p246)، وممارسة اللعبة في هذا اليوم رمز للانبعاث وإعادة الإحياء أيضا، تمارس هذه اللعبة أيضا في الخريف وفي هذه المرة تمارس من قبل الرجال، وغالبا ما يختار لها كميدان سرير نهر جاف يكون متجها نحو الشرق، حيث تضم اللعبة حوالي العشرين لاعبا يقسمون إلى فريقين، يحمل كل لاعب عصا خشبية منحنية الطرف أما الكرة فهي مصنوعة من القش الملفوف في خرقة سوداء، ويحاول كل فريق إدخالها في حفرة تتوسط الميدان (الملعب)، عند دخول الكرة في الحفرة يصيح اللاعبون: " لقد جعلها تشرب، سيعطي الله المطر"، في بعض المناطق عادة ما ترمي الكرة الممزقة في النهر المجاور بعد انتهاء اللعبة (J.Servier, 1951, p179) ، ترمز الكرة التي تسقط في الحفرة إلى البذرة (Gélard Marie-Luce , 2006, p 93)، وتحاكي حركة اللاعبين حركة السحب في السماء قبل نزول المطر (G. H.Probst Biraben,

(1919,p100، وغالبا ما تقترن هذه اللعبة أيضا بطقس الغنجة، أين تقوم النساء بممارستها قرب الضريح بعد الانتهاء من الطواف حوله.(Gélard Marie-Luce , 2006, p 93)

انه لمن الواضح ان هذا الطقس يرمز الى التعارض الحاد بين الفصل الساخن والفصل البارد اي بمعنى اخر الصراع القائم بين الشتاء والحر ، بدليل انه في حالة اقامة هذه المناسبات قصد استجلاب المطر كثيرا ما يكون الصراع والصياح والحركات تضطلع بدور هام. اعتقادا منهم بانه من شأن كل تلك الحركات ان ترج السماء وتصير الجو وقد امتلأ من سحائب الخير.

خـــاتمـــــة :

تبقى العادات والتقاليد الاحتفال بعيد السنة الامازيغية أو التقويم السنوي الفلاحي، قائمة الى يومنا هذا بالمجتمع الجزائري، حيث ارتبط ايناير والعنصرة بظاهرة استجلب المطر، حيث يعتبر الماء من المصادر الاساسية في حياة الانسان، لذا نجد هذا الطقس يحتفل به كل سنة، الا انه في السنوات الاخيرة تراجع هذا الاحتفال بسبب تغير نمط تفكير الساكنة وزحف الاسمنت التي أكلت الكثير من الاراضي الفلاحية الجبلية بالخصوص، اين تغيرت حياة القروي حيث أصبح اليوم مستهلك أكثر منه منتجا عكس ما كان عليه اسلافه، فالعيد مرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض، بالخصوبة، التي تتطلب بدورها وجود الماء.

قائمة المصادر والمراجع

دوتي إدموند(2011) مراكش، تر: عبد الرحيم حزل، منشورات مرسم، الرباط.

باصي، روني(2012) أبحاث في دين الأمازيغ، ترجمة وتقديم: حمّو بوشخار، ط1، مطبعة النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، المغرب .

دوتي إدموند(د.ت)السحر والدين في إفريقيا الشمالية، تر: فريد الزاهي، منشورات مرسم، الرباط.

عبد الرحيم العطري(2014)بركة الأولياء ، شركة النشر والتوزيع المدارس،ط 2، الدار البيضاء.

References

1-Bel . A (1905) Quelques rites pour obtenir la pluie en temps de sécheresse chez les musulmans Maghribins ,in : Recueil de mémoire et de textes, imprimerie 0riontale Pierre Fontana, Alger .

2-Gaudry Mathéa (, 1998) La femme Chaouia de l'Aurés, Chihab –AWAL.

3-Haddadou. M.A(S.D) Guide de la culture et de la langue berbères, ENAL ,Alger.

4-Masqueray. E (1880) Formation des cités chez les populations sédentaires de l'Algérie, Ernest Leroux, éditeur, Paris.

Revue et périodiques

1- Benkheira Mohammed Hocine (1999) Lier et séparer. Les fonctions rituelles de la viande dans le monde islamisé, in: L'Homme, tome 39, n°152.

2-G. H .Probst-Biraben (1919) Les rites d'obtention de la pluie dans la province de Constantine, in : Journal de la Société des Africanistes, tome2, fascicule 1, vol 55.

3-Gélard Marie-Luce (2006) Une cuiller à pot : tlaghnja, pour demander la pluie Analyse de rituels nord-africains contemporains, in : Journal da la Société des Africaniste, tome 76 .

4- J. Servier (1951) Les rites du labour en Algérie, in : Journal de la Société des Africanistes, tome 21, fascicule 2

5-Valensi Lucette (1975) Consommation et usages alimentaires en Tunisie aux XVIIIe et XIXe siècles, in : Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, 30 années, n° 2-3.